

سوريا تكرم موسيقارها
الراحل عدنان أبو الشامات

دمشق - ضمن مشروعها للاحتفاء بالموسيقين السوريين أصحاب البصمات الإبداعية احتفت الفرقة الوطنية السورية للموسيقى العربية بقيادة المايسترو عدنان فتح الله بقامة فنية أغنت المكتبة الغنائية بالملآ من الموسيقيين من خلال أمسية موسيقية حملت عنوان "تحية إلى الموسيقار الراحل عدنان أبو الشامات". يوصف الملحن السوري الراحل عدنان أبو الشامات بأنه موسوعة في الموسيقى العربية والسورية ومقاماتها وأوزانها وإيقاعاتها، وبأنه واحد من أهم مبدعي سوريا في القرن العشرين وصاحب مسيرة اعتنت بإحياء التراث الغنائي العربي واستمراره.

الموسيقار أبو الشامات الذي كرمته وزارة الثقافة أخيراً من خلال إحياء الفرقة الوطنية السورية للموسيقى العربية أمسية غنائية لأجمل ما لحنه لقامت غنائية عربية، هو من مواليد دمشق عام 1934 وبدأ دراسته الموسيقية بعمر 16 عاماً وانتسب إلى المعهد الموسيقي الشرقي بدمشق عام 1950 حيث تلقى جميع المعارف الموسيقية على يد كبار الفنانين آنذاك.

الفنان ألف العديد من
ألحان الأغاني لكبار
المطربين كما نشر كتباً
في الموسيقى وأعمالاً
أخرى للمسرح وغيره

تعلم أبو الشامات بحسب كتاب "مبدعو الألمان السورية في القرن العشرين" للباحث أحمد بوبس قراءة النوتة والإيقاع على يد حسن دركلي والصولفيج عند إيليا سمرندس وأخذ الموسيقيين من سعيد فرحات والأندلسية التي تضمنت عدة موشحات بمراقبة رقص السماح وغناها صباح فخري ومها الجابري.

وضع موسيقي العديد من المسرحيات منها "سهره مع أبي خليل القباني" و"كفر قاسم" و"برج المدافع" ولحن عملين لمسرح العرائس هما "الأبدي الناعمة" و"الحسناء الناعمة" وللتلفزيون لحن مجموعة من المقاطع الغنائية لمسلسلي "المغنون" و"أسماء الله الحسنى".

تعمق أبو الشامات في الموسيقى العربية ومقاماتها وعلومها وساعده ذلك على خوض غمار البحث الموسيقي فوضع كتاب "المنهج الشامل" لصالح نقابة الفنانين وتضمن برنامجاً موسيقياً كاملاً لفحوص الموسيقيين المتقدمين إلى عضوية النقابة.

شارك في تأليف ثلاثة كتب لمهرجان الأغنية السورية عن أحمد الأوبري وعمر البطش وأبي خليل القباني وكان يقوم هو بإعداد القسم الخاص بالحن الموسيقيين الثلاثة ووضع كتاب "ديوان الموشحات" ضمته جميع ألحانه حتى تاريخ صدور الكتاب بالنوتة والكلمة.

رحل الفنان عدنان أبو الشامات في السابع من مارس عام 2011 عن سبعة وسبعين عاماً، ونال في حياته العديد من التكريمات منها براءة تقدير من نقابة الفنانين 1985 وشهادة تقدير من وزارة الإعلام في سوريا 1987 وشهادة تقدير من مهرجان المحبة 1991 وديبلوم شرف من معهد حلب للموسيقى وتقدير من دار الأوبرا المصرية 1993 والأورنيثا من مهرجان الأغنية السورية لأفضل لحن 1997 وشهادة تقدير من الجمعية العربية للموسيقى 2000.

واحد من أبرز الملحنين والمثقفين الموسيقيين



المرأة هي المؤشر الحقيقي للمجتمع (لوحة للفنانة هيلدا حيارى)

وتوضح أن "العمل أتاح لي التعامل مع الجمهور، أي أنني أرى يومياً عدداً من الناس على كافة المستويات والأشكال، شخصيات متحركة مهمة في أغلبها، وإن كانوا يهتموني بشكل غير مباشر، فانا لا أكتبهم أو أكتب عنهم ولكنني أحس أنهم خبراتي المؤجلة أو المستعدة بين حين وآخر".

وتؤكد كساب أن "المشهد الروائي المصري زاخر بمبدعيه، كل يوم هناك إصدار جديد وعمل في طريقه للنور وكأنه أو كاتب

يشق طريقه الإبداعي وهذا يدعو للفرح، لست ملمة حقيقة بكل الجديد لكنني أتابع الحركة عبر السوشيال ميديا، كل حرف يكتب يشكل مسيرة الإبداع عامة ليسة الرواية فقط مصر بلد كبير، عدد سكانه تعدى المئة مليون نسمة، أحسن أن عدد الكتاب والمبدعين لا يد وأن يكون أكثر مما هو عليه، هؤلاء الذين ظهروا منذ أوائل الألفية الثالثة وأنا واحدة منهم تشكل جيلاً جديداً في مصر، جيلاً ما بعد الحروب والقماع والكبرى وفكرة الاستعمار وتحضير الأرض".

وتضيف "نحن الجيل الذي جاء في فترة الاستقرار، جيل له قضايا مختلفة وحياة أكثر سرعة وتطوراً ممن سبقونا، جيل لعبت التكنولوجيا لعبتها معه فأهلته لوضع مغاير، فتغيرت مفرداته وأدوات تعبيره، وأدوات حصوله على ثقافته وتعليمه، إنني أنظر إلى الأصغر سناً مني وأراهم أكثر تطوراً واختلافاً، لقد قضيت عشرين عاماً من عمري مثل من سبقني في حياة

لم تكن بها التكنولوجيا فانا من الأجيال التي عرفت ألعاب الشارع وقنوات التلفزيون الأولى والثانية ثم كانت نقلة كبرى مع قنوات المحليات ثم الإذاعات المتخصصة والقنوات المتخصصة حتى انتشر الإنترنت، كنت كبرت وفجأة حدث انتقال نوعي وجذري في المجتمع، لقد عاصرت هذه النقطة الكبيرة لذلك أقول نحن إضافة مهمة، نحن لسان حال الواقع الحالي بكل مفرداته وتغييراته".

شرعت في كتابة "على جبل يشكر" في 2014 وأنهتها في 2016 تأخرت فقط في نشرها ليس إلا، إذ تعترف أنها بطيئة السعي لكنها تسير. أما المجموعة القصصية "بيضاء عاجية وسوداء ابنوسية"، التي صدرت في 2018 فهي قصص عشر سنين متواصلة كانت نصوصاً قد نشرت في الكثير من المطبوعات الأدبية داخل مصر وخارجها على مدار عشر سنوات، قامت بجمعها في هذا الكتاب الذي ضم 24 نصاً، وصدرت في عام 2018

وسميتها باسم آخر نص انضم إليها. وتقول "لست أكاديمية، لكن حصلت على الدرجات العلمية من ماجستير ودكتوراه من الخارج أي أنني لم أعمل في الجامعة، رغم عدم اقتناعي بالدراسة التي بعد فترة بداية، إلا أنني بعد فترة وجدتها الأقرب لشخصيتي، وأن القدر اختار لي الأكثر مناسبة لطبيعي، فانا شخص يكره الفراغ وهذه الدراسة لم يكن فيها أي فراغ، إنها نتيج لعقلي العمل طيلة الوقت، كانت تضغط بشكل رهيب علي فكانت الكتابة الملجأ، قطعة الحلوى التي أحصل عليها بعد طول عمل أو بعد عناء، ثم جاءت مرحلة الدراسات العليا فوجدت أن فكرة البحث والتقريب الروائي".

وتتابع كساب "أول روايتين كتبتهما كانتا في مرحلة الماجستير، ثم كتبت التاليتين في مرحلة الدكتوراه، كان أستاذي يقول لي كلما حاولت التمليل وترك الدراسة وخاصة بعد نشر أول روايتين: عقلت منظم، فكنت أقول له إن الرواية السبب، هذا العقل المنظم هو نتيجة العمل مع الشخصيات والروابط والتفاصيل، البحث العلمي كان يسند ذلك بشكل غير مباشر لتبدو العملية أكثر تكاملاً وترابطاً".

قدم الكثيرون من الكُتاب إلى الكتابة من مجالات بعيدة عن الأدب، وخاصة العلوم وإن كان الأطباء هم الأكثر شهرة في هذا الانتقال، لكن هناك مجالات أخرى قَدِّمت مبدعين مميزين مثل الهندسة والزراعة وغيرها. في حديث حول الأدب وهذه النقطة من عالم إلى آخر كان لـ"العرب" هذا الحوار مع الروائية المصرية رباب كساب المتحصلة على الدكتوراه في العلوم الزراعية.

محمد الحماصي
كاتب مصري

تشغل أعمال الروائية رباب كساب بقضايا الواقع الاجتماعي في مختلف مستوياتها من اجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية، سعياً لإضاءة تشكيلات حيوات الإنسان وطموحاته وأحلامه وما يواجهه في سبيل ذلك من تحديات، وتتميز معالجتها برؤية متميزة في قدرتها على الإمساك بخصوصية الأحداث والشخصيات والأسلوب، وذلك انطلاقاً من روايتها الأولى "قصاص اسمها أنا" ثم "مسرودة"، و"الفصول الثلاثة"، و"فستان فرح".

وتشكل روايتها الأخيرة "على جبل يشكر"، الصادرة أخيراً عن دار النسيم، نقلة في تجربتها حيث تمزج فيها الخيال بالتاريخ وكذلك الواقع المعاش، من خلال تناول العربي الذي جاء إلى مصر وسكن أعلى الروبة فسُسمي الجبل باسمه، كما تتحدث عن مسجد أحمد بن طولون وبيت الكرتيلية، والشوارع وتاريخها وأساطيرها، الأرواح الحائرة والقلوب القلقة، عن المحبة والخذلان.

الكاتب ابن بيته

تذكر الكاتبة أنها حين وصلت إلى المرحلة الإعدادية بانثت لتلتفت إلى كتب أبيها القديمة والمهملة منذ زمن، فأنهتها وأعدت قراءة بعضها لنسج الكتب في مدينتها، وفي تلك المرحلة ظهرت بداية الرغبة عندها في الكتابة.

تقول "لم يكن هناك شكل إبداعي واضح، ولكني شعرت بمحبة فعل الكتابة ذاته، حين إذا جاء لا أقاومه بل أفرح به، وذات مرة اضطررتني الظروف لأكتب قصة أثناء اختبار الشهادة الإعدادية، فكتبتها وحينها عرفت ما هو الشكل الذي يستهويني في الكتابة، ثم جاء مشروع مكتبة الأسرة ليوفر لدينتي ما تفقير إليه من كتب، ذلك أن كتب المشروع كانت تطرح لدى باعة الصحف في فترة الصيف، وباتت أمي تشتري لي وهي في طريقها للعمل كل ما تجده عند الباعة، وكان ذلك النواة الأولى لمكتبتي وبداية تحديد ذائقتي وما أريد قراءته وما أحبه".

رباب كساب
الكاتب ابن بيته
شكلاً وموضوعاً، يتأثر بكل ما يحيط به

وتؤكد أنه كانت لها محاولات في القصة القصيرة قبل الرواية "ولكن لم تكن بالمعنى الفهم أو المعروف للقصة القصيرة، كانت نصوصاً طويلة يغلب عليها الحكى، لذا يمكن اعتبار هذه المحاولات مقدمة لأبد منها أبداً. كتبت أول رواية طويلة بعد تخرجي من الجامعة مباشرة، وهي رواية لم أنشرها طبعاً، لكنني ارتحت لهذا الشكل الإبداعي، شعرت أنني وجدت ضالتي فيه، ثم كتبت "قصاص اسمها أنا" وتوالت الروايات، كتبت القصة القصيرة في وقت متأخر على عكس كثيرين الذي بدأوا بقصص قصيرة ثم تحولوا للرواية، بدأت حكاية ولازلت مخلصه للحكي، وإن كنت مدركة تماماً لأن الحالة هي التي تحدد شكل الكتابة إن كان قصة أم رواية".

وتشير كساب إلى أن قضايا رواياتها تشكل قضايا المجتمع المصري، وتقول "الكاتب ابن بيته شكلاً وموضوعاً، يتأثر بكل ما يحيط به، جزء لا يتجزأ من هذا المجتمع يقع على ما يقع على أهله، إلا أنني اعتبر نفسي أكثر حساسية لما يحدث لهذا أتمكن من التعبير عنه في شكل أدبي".

وتضيف الكاتبة "المرأة من وجهة نظري مثلاً هي المؤشر الحقيقي للمجتمع

جيل النقلة الكبرى

بين رواية كساب "فستان فرح" 2012 وروايتها الأخيرة "على جبل يشكر" 2021 أكثر من تسع سنوات، أصدرت خلالها مجموعة قصصية "بيضاء عاجية وسوداء ابنوسية" 2018، حول نشر "فستان فرح" في منتصف عام 2012 كان عليها الانتهاء من الدكتوراه في نفس العام فقد ناقشتها في أكتوبر 2012 ثم ركنت إلى فترة راحة طويلة، حاولت فيها كتابة بعض الموضوعات لكنها لم تسنم وهذا عادي بالنسبة لها كما ترى.